الفصل السابع:

الأقباط الآن.. بين المواطنة الكاملة والشعور بتضخم الذات

obeikandl.com

obeikandl.com

يؤكد واقع أقباط مصر ـ الآن ـ أنهم يتمتعون بجميع حقوق المواطن المصرى، دون أدنى انتقاص، بل لا نبالغ إذا قلنا إنهم صاروا فئة متميزة عن سائر الشعب، فعلى الرغم من أن نسبتهم لا تتعدى الـ ٥٪ من تعداد السكان إلا أنهم يملكون ما يقرب من ربع اقتصاد البلد ويحتكرون امتيازات أخرى دون المسلمين، فهم يملكون ٢٠٪ من شركات المقاولات، ٢٩٪ من عدد رجال الأعمال، ٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادى، ٢٠٪ من المستثمرين فى المدن الصناعية.. إلخ.

● تميز الأقباط عن المسلمين:

«والواقع يقول: إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل، والمساجد تغلق عقب الصلاة!.. ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، ومنبر المسجد مؤمم، لايرقاه إلا من ترضاه وترضى آراءه (الأجهزة).. والشباب القبطى المتدين ينام فى بيته آمنًا، ونظيره المسلم يعيش فى رعب قوائم (الاشتباه)،، وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبتل النصرانى - وحتى الرهبنة ـ بينما الشباب المسلم إذا أراد الاعتكاف بالمسجد فى رمضان، لا يتاح له ذلك إلا إذا تقدم بصورة البطاقة إلى «الأجهزة» التى تضعه فورًا فى القوائم المرشحة لما يعرفه الجميع..وأوقاف الكنائس قائمة، وفى نمو ـ وهى تحفظ لها استقلال الموقف والتوجه والقرار ـ بينما أوقاف المساجد والأزهر ومؤسسات الخير الإسلامية، قد أممت، واغتالتها البيروقراطية الحكومية، واغتالت معها حرية هذه المؤسسات فى التوجه والقرار»[1].

وتؤكد الممارسة العملية، ما تضمنه الدستور من مبادئ حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية، بمقتضى المادة ٤٦ التى تنص على أن «تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية»، فأجراس الكنائس تدق، ويمارس الأقباط شعائرهم بلا أى تضييق.

«والقانون لا يفرق بين مسلم ومسيحى فى تولى الوظائف العامة، أو فى الالتحاق بالجامعة والمعاهد العليا، أو فى الترشح للانتخابات»[2].

---

(١) فى المسألة القبطية (حقائق وأوهام)، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

(٢) سفير دكتور فتحى مرعى، موقع (إسلام أون لاين).

وقد دفع هذا الواقع الجيد، الطرف العاقل من الأقباط، إلى الاعتراف بهذه الحقيقة، مؤكدين أنهم لا يشعرون بفروق بينهم وبين إخوانهم المسلمين، كما لا يشعرون بأنهم أقلية أو أن هناك تمايزًا للمسلمين عليهم. يقول الأنبا موسى- أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية:

«نحن كأقباط، لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقي (إثني)، لأننا مصريون، وأتجاسر وأقول: كلنا أقباط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجعلنا متحدين مهما اختلفنا. هناك طبعًا التمايز الديني، لكن يظل الأقوى والأوضح الوحدة العرقية.. ولا نشعر نحن الأقباط بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا. نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لايجعلنا نشعر أن هناك شرخًا بيننا وبين إخواننا المسلمين»[1].

ويقول مكرم عبيد باشا: «نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا، اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين»[2].

● تمرد على الواقع:

وعلى الرغم من الواقع المتميز الذى يعيشه الأقباط، إلا أن طائفة منهم يعلنون تمردهم على هذا الواقع، مدعين أنه لا يفى (بحقوقهم)!!.. بل بالغوا فى هذه الادعاءات فصاروا يتحدثون بلغة التطرف والاستكبار..

«إن لدى هذه الطائفة رغبة جامحة فى تنقص الإسلام، واعتبار أهله غرباء فى هذه البلاد، ومحاولة الاستئثار بالسلطة دونهم، حتى يتم بالخديعة أو القهر هدم الحكم الإسلامى، وإقامة حكم آخر مكانه أيًا كان لونه!»[3].

ونحن لا ننكر أن هناك ظلمًا، وحرمانًا سياسيًا، لكنه لا يقع على الأقباط وحدهم، ولكنه يقع على جميع المصريين، وعلى هذا فإن من يدعون وجود تمييز ضد الأقباط لايعدو كونهم مخادعين مزورين..

---

(١) الملل والنحل والأعراق، د. سعد الدين إبراهيم (نقلاً عن: فى المسألة القبطية).

(٢) صحيفة الوفد فى ٢١ يناير ١٩٩٣م (نقلاً عن المسألة القبطية).

(٣) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالى، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٩م.

وحتى وقت قريب كانت الكنيسة هى صمام الأمان للشعب القبطى، دافعت عن الاعتدال وحاربت التطرف والعنف، إلا أن أصواتًا عديدة من داخل الكنيسة نفسها، تدفع الشباب القبطى ـ هذه الأيام ـ إلى رفض الواقع، والخروج على المجتمع، وهذا السلوك من جانب الكنيسة وإن كان يبدو الآن سلميًا، إلا أن إرهاصاته تؤكد أننا أمام مستقبل غامض للعلاقة بين المسلمين والأقباط ـ إن لم يُعالج هذا الأمر... وتعود الكنيسة إلى سالف عهدها من حراستها لمعانى المحبة والإيمان.

لقد حدثت عدة ظواهر فى الثلاثين عامًا الأخيرة، من جانب الأقباط، استدعت إلى الذاكرة، تجاوزات بعضهم مع وطنهم، مصر، ومع شعبه الكريم المتسامح.

هناك حالة من (تضخم الذات) لدى قسم من الأقباط غيبت الواقع الحقيقى للعلاقة الأبدية والمتفردة بين أقباط ومسلمى مصر. لقد غاب عن هؤلاء أن الأقباط ليسوا (كانتونًا) يمكن أن يطالب بالانفصال، على غرار أقليات إثنية فى دول أخرى، وغاب عنهم أن (الحالة المصرية) لا تنطبق عليها شروط (الطائفية) التى تقع فى بلاد أو دول أخرى.

إن الحرب الإعلامية الكاذبة، والمتواصلة التى يشنها فريق من الأقباط، فى الداخل والخارج، تستفز مشاعر المسلمين، وخصوصًا ما يتعلق بعقائدهم.

والذين ينفخون فى النار لا يدركون حجم المآسى التى ستقع من جراء هذا الكذب والتدليس، ولا يدركون أن أول المحترقين بهذه النار هم الأقباط أنفسهم.

● راجعوا التاريخ:

كما أن الاستقواء بالخارج، وطلب الحماية من الغرب المسيحى، والضغط على النظام وابتزازه وطلب المزيد من التدليل، وقيام هذا النظام نفسه بالتضييق على المسلمين، والوقوف فى وجه الدعوة الإسلامية، وسجن الآلاف من أبناء الحركة الإسلامية باختلاف فصائلها.. كل ذلك يؤدى إلى تأجيج مشاعر العداء ضد الأقباط، من جانب الأغلبية المسلمة، وهو ما لا يبشر بخير، بل يعيد إلى الأذهان، الفترات السوداء فى تاريخ الوحدة الوطنية، بعد خروج نفر من الأقباط- كما يحدث الآن- على الإجماع الوطنى، بوضع أيديهم فى أيدى المحتلين على حساب الوطن ومصالحه..

لقد تعاطف البعض منهم مع الصليبيين واغتر بدعايات المحتل الكاذبة، بقدرته على قلب الموازين وتسليمهم البلاد، فخان بذلك بلده وشعبه.. «ثم ذهب الصليبيون وخلّفوا وراءهم مرارات بغير حدود»[1].. كان الجرح العميق قد تأصل فى النفوس، وخلّف ندوبًا لم يكن من السهل تجاوزها، وقد تمثل ذلك فى ردود فعل المسلمين بعد فشل الحملات الصليبية، الأمر الذى دعا صلاح الدين الأيوبى أن يطالب المسلمين فى الشام ومصر، بعدم المساس بالمسيحيين الشرقيين، احترامًا لأهل الكتاب، والتزامًا بتعاليم الإسلام ، لكن الأمر لم يخل من عمليات انتقام ضد الخائنين.

كما تستدعى هذه المواقف المخزية من جانب بعض الأقباط، مواقف إخوانهم فى مساندة المحتل الفرنسى والوقوف فى صفه ضد مواطنيهم المسلمين، لقد استغل الفرنسيون ـ ككل المحتلين ـ الأقباط، فى إذلال المسلمين، والتسلط عليهم، فتزيوا بزى المحتل، وحملوا سلاحه، وانضووا جنودًا تحت لوائه، وصار منهم قادة ذوو مراكز، يهتفون باسم المحتل ويحاربون مواطنيهم نيابة عنه.

وعندما فرض الفرنسيون إتاوات على المصريين قبل الرحيل، صدروا لتلك المهمة رجلاً نصرانيًا يسمى شكر الله «فنزل بالناس ما لا يوصف، فكان يدخل إلى دار أى شخص كان، لطلب المال، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة، وبأيديهم القرم، فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير»[2].

وعندما حان وقت رحيل الفرنسيين، حدثت ردود فعل عنيفة من جانب عوام المسلمين، تجاه الخائنين من الأقباط، ودعا بعض أعيان المسلمين إلى ملاحقتهم، فصار المسلمون يهاجمونهم جراء أفعالهم الشنيعة والمظالم الفظيعة التى أوقعوها بالمسلمين، مستقوين فى ذلك بأبناء ملتهم الفرنسيين.. وإزاء تفاقم رد الفعل الإسلامى تجاه غير المسلمين... «نودى بألا يتعرض بالأذية لنصرانى ولا يهودى،

---

(١) الحركة الصليبية، للدكتور سعيد عاشور، الإسلام والحضارة العربية، لمحمد على كرد (نقلاً عن: مواطنون لا ذميون، للأستاذ فهمى هويدى).

(٢) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، للجبرتى (نقلاً عن: مواطنون لا ذميون).

سواء كان قبطيًا أو روميًا أو شاميًا، فإنهم رعايا السلطان (العثمانى)، والماضى لايعاد»[1].

وهذا ما دعا شاعر النيل (حافظ إبراهيم)، إلى استنكار مثل هذه المواقف، الخارجة عن المألوف، والتى تتكرر كل فترة من جانب بعض الأقباط، اغترارًا بمحتل، أو استقواءً بقوى خارجية، يقول:

فهموا من الأديان ما لا يرتضى ... دين ولا يرضى به من يفهم

ماذا دعا قبطيى مصر فصده ... عن ود مسلمها وماذا ينقم؟!

وعلام يخشى المسلمين وكيدهم ... والمسلمون عن المكايد نوم؟!!

قد ضمَّنا ألم الحياة وكلنا ... يشكو فنحن على السواء وأنتم

إنى ضمين المسلمين جميعهم ... أن يخلصوا لكم إذا أخلصتم

وعلى المنوال نفسه، نظم الشاعر المعروف أحمد محرم أبياتًا، تذكِّر أمثال هؤلاء بالعهود التى بينهم وبين المسلمين:

هذى مواقفنا فى الدهر ناطقة ... فاستنبئوها تريحونا من التهم

لا تظلموا الدين إن الدين يأمرنا ... بما علمتم من الأخلاق والشيم

منا ومنكم رجال لا حلوم لهم ... ولا يفيئون للأديان والحرم

أنتم لنا إخوة لا شىء يبعدنا ... عنكم على عنت الأقدار والقسم

ليس اللجاج بمدن من رغائبنا ... ولا الشقاق بمجدينا سوى الندم

يا قوم ماذا يفيد الخلف فاتفقوا ... وقوِّموا أمركم بالحزم يستقم

صونوا العهود وكونوا أمة عرفت ... معنى الحياة فلم تعسف ولم تهم

.. فهل استوعبوا الدرس، وفاءوا إلى رشدهم، وقدَّروا الأمور بقدرها؟!، لم يحدث هذا، بل ازداد تطرفهم.. وتضخمت ذاتهم.

---

(١) عجائب الآثار فى التراجم والأخبار. المرجع السابق.

● الشعور بتضخم الذات:

يشعر فريق من الأقباط بالاضطهاد الشديد من جانب المسلمين، وهذا الشعور ليس ناتجًا عن اضطهاد حقيقى، وإنما هو إحساس (بتضخم الذات)، والوهم بأحقية أبناء ملتهم فى امتلاك (مصر) كميراث قبطى، اختطفه ـ فى زعمهم ـ العرب الأفظاظ المتوحشون.

وشعار هذا الفريق: ارتداء السواد حتى تعود مصر إلى حضن المسيح. وفى الفترات التى يعلو فيها صوت هذا الفريق وتبدو فى الأفق ملامح العنف -كما يحدث الآن- فلأن قلة من خدّام الكنيسة يشجعونهم على ذلك ويعطونهم الإذن فى التحدى والاستقواء..

لقد استعرضت أحداث الفتنة الطائفية منذ أحداث الخانكة (نوفمبر ١٩٧٢) وحتى الآن (٢٠٠٨م)، فوجدت أن الأقباط هم الذين يشعلونها، لكن -للحق- يكونون فى نهاية كل حادثة هم الضحايا، ولا تخرج أسباب معظم هذه الحوادث عن إصرار الأقباط على بناء كنائس جديدة تفوق احتياجات أعدادهم بكثير، الغرض منها تغيير الشكل العام للبلد والإيحاء (بقبطية) مصر، ويؤدى هذا إلى استفزاز المسلمين، فيحاولون منعهم، فتقع الفتنة.. أما باقى الحوادث فنتجت عن مشاجرات عادية بين أفراد من الطرفين، يكون البادئ بالاعتداء هو القبطى.. راجعت فى ذلك حوادث: الخانكة (١٩٧٢)، الزاوية الحمراء (١٩٨١)، إمبابة (١٩٩١)، دميانة (١٩٩٥)، كفر دميانة (١٩٩٦)، عين شمس (٩٥، ١٩٩٦)، الإسكندرية (٩١، ٩٤، ١٩٩٥، ٢٠٠٧)، سمالوط (١٩٩١)، ملوى (١٩٩٥)، المنيا (١٩٨٦، ١٩٩٤، ١٩٩٦)، منشية ناصر (١٩٩٢)، أسيوط (٩٢، ٩٥، ١٩٩٦)، طما (٩٢، ٩٦)، طهطا (١٩٩٦)، قنا (١٩٩٣، ١٩٩٥)، صنبو (١٩٩٦)، الكشح (١٩٩٦، ٢٠٠٠)، الأقصر (٢٠٠٧)، العياط (٢٠٠٧).

● تطرف كنسى يؤجج العداوة:

ومما يلفت النظر، أن الكنيسة نفسها وخلال الثلاثين عامًا الأخيرة، هى التى تؤجج نار الطائفية، بدلا من الدعوة إلى المحبة والسلام..

- لقد عقدت الكنيسة قبل حادث الخانكة (نوفمبر ١٩٧٢م) مؤتمرًا بالإسكندرية (فى ١٧، ١٨ يوليو ١٩٧٢م).. «اتخذت فيه قرارات طائفية، ثم أبرقوا بها إلى مؤسسات الدولة، وبلهجة صدامية، تتحدث عن المطالبة بحماية حقوقهم، وعقيدتهم المسيحية.. وأنه بدون ذلك سيكون الاستشهاد أفضل من حياة ذليلة»(١).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل عندما وقع الحادث، وكان بسبب محاولات الأقباط بناء كنيسة بدون ترخيص وقيام أحدهم (غالى أنيس بشاى) بإطلاق النار على المسلمين، قامت الكنيسة بتنظيم مظاهرة من رجال الكهنوت إلى موقع الحادث، متحدين مشاعر الأغلبية وتحذيرات النظام.. «فلما طُلب إلى البابا ألا يشارك فى المظاهرة، قام بها رجال الكهنوت وأوصاهم البابا قائلاً:

- أنتم كم؟

- مائة وستون.

- عايزكم «ترجعوا ستة عشر كاهنًا.. والباقى يفترشوا الأرض افتراشًا ويستشهدون»(٢).

- وفى حادثة الكشح التى وقعت فى ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م، بمركز البلينا وبالرغم من أن الحادثة بدأت بخلاف بين مسلم وقبطى (تاجر) إلا أن رجال الدين المسيحى ساعدوا فى زيادة حدة التوتر، بل قام أحدهم (القمص جبرائيل عبد المسيح) بإطلاق النار على سكان القرية المسلمين، وقام - بمساعدة الشباب القبطى - بتخريب ممتلكات أهالى القرية، وقد ألقى القضاة الذين حكموا فى

---

(١) فى المسألة القبطية، مرجع سابق.

(٢) الحقائق الخفية فى الكنيسة القبطية، القمص أندراوس عزيز (نقلاً عن: فى المسألة القبطية).

القضيـة باللوم على هذا القس المتطرف وعلى مسئولى الكنيسـة، لخروجهم على مقتضى وظائفهم وقيامهم بإذكاء نيران الطائفية والعنف.

- وفى أحداث الفـتنة بحى محـرم بك بالإسكندرية (٢٠٠٧م)، كان السـبب هو عرض كنيسة مارجرجس لمسرحية (كنت أعمى والآن أبصر) تتهجم على الإسلام والمسلمـين وتسىء للرسـول ﷺ وللصحـابة، ولم تكتف الكـنيسـة بذلك، بل وزعت أقراصًا مدمجة (C.D) بكميات كبيرة على طلبة الجامعات، وهذا ما دفع آلاف المسلمين إلى التظاهر معلنين استياءهم من عرض الكنيسة للمسرحية.

- **استفزازات واعتداءات على حقوق المسلمين:**

وإذا كان بابا الأقـباط، ينفى فى كل مناسبـة علاقة الكنيـسة بما يقع من تطرف قبطى، ويدعى أن الكنيسة لا تتحكم فى جميع أبنائها، إلا أن واقع الحال يؤكد أن هؤلاء المتطرفين حـصلوا على الضوء الأخضـر لأعمالهم المستـفزة، من بعض آباء الكنيسة وأكـبر مسئوليهـا.. ولو كان (البابا) لا يستطيع التـحكم فى أبناء الكنيسة خارج الحدود ـ كما يدعى ـ فهل لا يستطيع أيضًا السيطرة على من هم بالداخل؟ إن جريدة وطنى (لسان حال الكنيسة) تنشر فى كل عدد من أعدادها طائفية مقيتة، وينادى كثيـر من كتابها بطرد (الغرباء) عن بلدهم.. وليـست هناك خطوط حمراء لهذه الصحيفـة غير القانونية(*) لقد نشر أحدهم مقـالاً ـ أدعو (البابا) لقراءته ـ إذا كان لم يقرأه وإبداء رأيه فيه- قال الكاتب(١):

«... أحد الخلفاء الراشدين كانوا يكسر الـذهب المنهوب من الشعوب المهزومة بالفئوس- والمسلمون الذين استوطنوا مصر أعطوا ثرواتها وخيراتها للغزاة المسلمين لينعم بها الغرباء، ولما كان المسلمون بإسلامهم غرباء عن مصر، إذًا فلا حق لهؤلاء الغرباء باتهام أهل البيت المسيحى القـبطى المهاجر بالخيانة لمصر، لأن هؤلاء الغرباء المسلميـن يسرقون مـصر وينهـبون خيـراتها ولا يحـملون الهوية المصـرية الأصلية

(*) الصحيـفة سقطت رخصـتها بموت صاحـبها منذ سنوات، لكنها مـستمرة فى الصـدور رغم أنف القانون والنظام معًا، أمـا مجلة الاعتصام الـتى سقطت رخصتهـا مع (وطنى) فى سنة واحدة، فلم تر النور من يومها (المؤلف).

(١) جريدة وطنى، العدد ٢٣٩٩ (١٦/١٢/٢٠٠٧م) مقال بعنوان: الخلط بين الدين والمواطنة، لكاتب يدعى مجدى خليل.

والأصيلة، هم سراق ولصوص وقطاع طرق يأخذون مما لا يملكونه، لأنهم يشعرون بأنهم غرباء عن مصر، ويحسون أن مصر ليست وطنهم ولكنها تكية يأخذون منها ما يشاءون، ونحن نراهم اليوم يعيثون فى مصر فساداً حتى أتوا بعاليها لواطيها، وتقرأ وتسمع عن السرقات بالملايين فى جميع الوزارات وعجز فى ميزانية شركات القطاع العام، وأصبح اسم مصر العظيم بسببهم ذا سمعة سيئة لأنها أصبحت مرتعًا خصبًا لعصابات الإسلام الإجرامية. وكل ما نستطيع قوله: لك الله يا مصر. إذا كان الإسلام لا يعترف بوطن فهل يعترف بمواطنة؟» أ.هـ.

والحق الذى لا مرية فيه أن صدور المسلمين تتسع كثيرًا لبعض حالات التشنج والتطرف القبطى؛ إذا كانت هذه الحالات طارئة وشاذة وليست منهاجًا للكنيسة..

لقد اتسعت من قبل لمقالات سلامة موسى الطائفية، ولم تؤاخذ الأقباط بجريرة هذا الكاتب العنصرى الذى كان يكتب بشكل صريح لاعنًا الشرق ودين الشرق، رافضًا ثقافة المسلمين وقرآنهم ولغتهم.

كما اتسعت صدورهم للإرهاب القبطى الطارئ من جانب (جماعة الأمة القبطية) التى قادها المحامى إبراهيم هلال سنة ١٩٥٢م «والتى تبنت مشروعًا سياسيًا طائفيًا يدعو لإحياء اللغة القبطية، بدلاً من العربية، ولإعادة مصر قبطية و(تحريرها) من الإسلام والمسلمين»[١].

لكن صدور المسلمين تضيق عندما ترعى الكنيسة أفكارًا تخرجها عن دورها الإيمانى، وتسود تيارات سياسية ثورية داخلها، تدعو إلى تهميش الأغلبية!! وانتقاص حقوقها، والسير بوطن بكامله صوب الحرب والهلاك.

لقد وقع حادث السيدة وفاء قسطنطين، ليؤكد أن الكنيسة تسير فى طريق شائك، نهايته توصل إلى دماء وأشلاء، وأن (النصر) الموهوم الذى حازه الأقباط فى هذه القضية، سوف تتحمل الوحدة الوطنية، ثمنه ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ «لأن الأمور فى هذا الحدث اضطربت واختلطت على نحو بدا فيه للمعتدى أنه معتدى عليه، ومارس فيها صاحب السلطة سلطته إنفاذًا لمشيئة غيره، وانحسرت فيها سيادة الدولة عن بعض رعاياها وبعض أقاليمها»[٢].

(١) فى المسألة القبطية (حقائق وأوهام). مرجع سابق.

(٢) المستشار طارق البشرى، موقع إسلام أون لاين نت.

وعندما طلبت الكنيسة من الدولة تسليم المواطنة وفاء قسطنطين إليها، صدر القرار بتسليمها إليها. . مع العلم أن هذه المواطنة أعلنت إسلامها وحفظت خلال سنتين ١٧ جزءًا من القرآن الكريم، وصارت مسلمة ملتزمة تؤدى فروض دينها على أكمل وجه.

واستجابت الدولة ـ رغم استبدادها وتنكيلها بالإسلاميين ـ لضغوط الكنيسة، فى قضية هى قضية المسلمين، لقد ذهب (بابا) الأقباط للاعتكاف فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون، وألغى عظته الأسبوعية التى يلقيها مساء كل أربعاء فى كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس بالعباسية، إشارة إلى نيته ونية الأقباط فى التصعيد ضد الدولة.

لقد قام الأقباط بمظاهرات صاخبة، أصاب المتظاهرون خلالها ٥٥ ضابطًا وجنديًا من قوات الشرطة، وناشدت مواقع قبطية (على الإنترنت) رئيس وزراء إسرائيل، شارون، والحكومة الأمريكية، التدخل فى هذه القضية، وطالب عدد من الأقباط بحكم ذاتى للأقباط فى مصر.

ثم احتفل الأقباط بعودة وفاء قسطنطين إلى الكنيسة، وهنأوا أنفسهم برسائل المحمول، تدعوهم بأمر سيدنا (شنودة) للصوم ثلاثة أيام ابتهاجًا بعودة قسطنطين.

ومنذ ١٤/١٢/٢٠٠٤م لا يعرف أحد شيئًا عن وفاء قسطنطين، حتى الدولة نفسها، بما يعنى أن الكنيسة صارت دولة داخل الدولة.

● دولة منبطحة وكنيسة متجبرة:

إن الذى يشعر المسلمين بالمرارة، هو انبطاح الدولة أمام جبروت الكنيسة، والدور المتخاذل للمؤسسات الإسلامية الرسمية وعلى رأسها الأزهر، الذى لم يكن له دور يذكر فى هذه القضية، التى تكررت بعدها أكثر من مرة، حيث تسلمت الكنيسة- وبالطريقة نفسها- الطبيبتين اللتين أعلنتا إسلامهما: ماريان مكرم عياد، وتيريزا إبراهيم، إضافة إلى السيدة مارية عبد الله زكى، ولم يُعرف كذلك أين هنَّ الآن؟!

يقول المستشار طارق البشرى[1]: «والإدارة الكنسية صارت تنظيمًا أوحد، ألغت كل ما عداها، وما لم تلغه امتصته وأخضعته لسيطرتها المتفردة. . .

(١) موقع إسلام أون لاين نت.

والإدارة الكنسية بوضعها الراهن انتقلت من الهيمنة الفردية إلى التفرد المؤسسى، ثم إلى التوجه الحزبى السياسى، ثم أضافت إلى ذلك نزوعًا إلى السلطة واستخدام أدواتها فى الضبط والاعتقال، لقد قالت للدولة: أعطنى قطعة من استبدادك فأعطتها الدولة قطعة من استبدادها. . .

إن الأحداث الأخيرة أحدثت عددا من الجراح: جرح مع الدولة لأن الكنيسة أجبرتها فى لحظة ضعف ووهن على أن تسلم لها مواطنة بغير حق، وجرح مع المسلمين لأن هؤلاء السيدات اللاتى تسلمتهن الكنيسة كن جميعًا قد صرن إلى الإسلام» أ.هـ.

● أخطاء الجماعة القبطية

لقد عُقدتْ عشرات الندوات لمناقشة الشأن القبطى، عقدتها هيئات وجماعات مستقلة، أثبتت جميعها أن هناك أخطاء تعيشها الجماعة القبطية، لابد من تصحيحها، من أجل إعادة مصر كما كانت، بوجهها المشرق الخالى من التعصب والطائفية، ومن هذه الأخطاء:

١- المبالغة فى المطالب القبطية، لتخرج من نطاق دائرة المطالب التقليدية - كباقى المصريين - إلى محاولة الاستثناء والتعالى على الآخرين، والتمرد على الواقع، ولى ذراع النظام، ووضعه فى مواقف تجعله موضع مساءلة وضغوط دوليين، بشكل مستمر.

٢- استفزاز مشاعر المسلمين، والهجوم على بعض الأصول الإسلامية مثل الشريعة الإسلامية التى تحدثت عنها المادة الثانية من الدستور، وشعار الإسلام هو الحل الذى رفعه الإخوان المسلمون فى الانتخابات، والحجاب. . . وغيرها من الأصول، والربط -الدائم- بين الإرهاب (الإسلامى) وما يحدث للأقباط من مشكلات.

٣- الصعود السياسى لدور الكنيسة، وتدخلها فى مسائل شائكة، هى فى الأساس ليست من مهامها، وهذا الصعود (الطارئ) يجعل الكنيسة دولة داخل الدولة، ويهيئ الساحة لصدامات من نوع جديد[1]. .

(١) يراجع فى ذلك: دور الكنيسة فى تنظيم المظاهرات الحاشدة والعنيفة من أجل الحصول على مطالب معينة، كما حدث فى قضية المسيحيات اللاتى أسلمن (وفاء قسطنطين وأخواتها)، وقضية الراهب المشلوح.
ويراجع كذلك: هجوم البابا على قرار المحكمة الإدارية العليا، الخاص بمنح تصاريح الزواج للمطلقين، والذى اعتبره غير ملزم للكنيسة، أو كأن لم يكن -على حد قوله.

٤- الاستقواء بالخارج وانتزاع الحقوق بضغوطه وعقوباته على النظام الحاكم، وهذا السلوك يأتى بنتائج عكسية وإن كانت لم تبد على السطح الآن، إلا أنه سوف يأتى وقت ينفجر فيه بركان الغضب فى وجوه من حرّضوا الغرب على أبناء وطنهم.

٥- معاونة المنصرين فى الدعوة إلى المسيحية بين المسلمين، وهذه جريمة يرتكبها متعصبو الأقباط، يعيدون نشر صفحة سوداء من تاريخ مصر، عندما قام بعض أجدادهم بالدور نفسه مع (المبشرين) الذين حملهم المحتل وكانوا يساومون الناس على دينهم مقابل الطعام والعلاج.. لقد كان هناك من «قام بخدمة الإرساليات التنصيرية الأجنبية وغيرها»[1].. وقدم لها الدعم، وشارك فى تنفيذ خططها التى تهدف إلى زحزحة المسلمين عن دينهم، تمهيدًا لتنصيرهم.

٦- نشر الدعايات الكاذبة، والمبالغة والتهويل فى وصف حالات التوتر التى تحدث - بشكل طبيعى - بين المواطنين، المسلمين والأقباط. لقد ادعى بعضهم أن (٢٤٠) حادثة اعتداء على الأقباط وقعت عليهم منذ عام ١٩٧٢م، وهذا الشخص يعلم تمامًا أن هذه الحوادث وقعت بالفعل، لكنها لم تقع بشكل طائفى، ولكن بسبب خلافات، كخلافات الجيرة والتجارة وغيرها، ومعلوم أن أضعاف هذه الحوادث تقع بين مسلمين ومسلمين، وأقباط وأقباط، بصفاتهم مصريين وليس بصفاتهم الدينية.

لقد وصلت هذه المبالغات إلى حد الجنون، وكأن الذى يبث هذه الدعايات يفترض فى الذين يستقبلونها الغباء التام، أو أن ما يقوله وحى منزّل لابد من تصديقه.

إنهم يخلطون الأوراق، ويزورون، ويستكبرون، ويريدون تحويل هذا البلد إلى خرابة ينعق فيها البوم، وغاب عنهم أن من نكث فإنما ينكث على نفسه، وأنهم أول من يشربون من كأس الطائفية وأول من يحترقون بالنار التى يشعلون فتيلها..

---

(١) الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر، مرجع سابق.

● **أقباط المهجر.. تطرف بلا حدود:**

ظهرت أصوات أقباط المهجر لأول مرة، فى منتصف السبعينيات، وهم الذين هاجروا بعد قيام الثورة وصاروا أصحاب مراكز وأملاك فى دول الغرب وخصوصًا أمريكا وأوروبا وأستراليا..

ولقد تبنى هؤلاء المهاجرون ـ بمساعدة بعض الدول الصليبية وبتحريض من الصهيونية العالمية ـ القيام بتشويه الإسلام، والطعن فيه، ومهاجمة المصريين وتحريض الدول الغربية عليهم، من خلال عدة منظمات أقاموها فى تلك البلاد.

يبلغ عدد هذه المنظمات حوالى ١٥ منظمة، تمارس أنشطتها فى الكذب والتدليس، عبر تنظيم المؤتمرات وتدشين مواقع الإنترنت والمراكز الإعلامية، لبث الافتراءات عن واقع الأقباط.

وقد استطاعت هذه المنظمات إصدار تقارير من الإدارة الأمريكية تتضمن وجود اضطهاد للأقباط فى مصر، بما يؤدى إلى فرض عقوبات عليها من بينها التهديد بقطع المعونة الأمريكية أو توجيه الجزء الأكبر منها إلى تجمعات الأقباط.

ولعل أشهر هذه المنظمات هى منظمة أقباط الولايات المتحدة، التى تزعم أن الأقباط يتعرضون يوميًا لاعتداءات جسدية ونفسية، وهذه المنظمة وثيقة الصلة بلجنة الحريات بالكونجرس الأمريكى الذى يشارك فى العديد من جلسات الاستماع أمامها وتقديم تقارير تفيد باضطهاد الأقباط فى مصر.

وفى القائمة أيضًا منظمة (الأقباط متحدون) أسسها الملياردير المتطرف عدلى أبادير فى سويسرا عام ٢٠٠٤م، وهى لا تكف عن الكذب وادعاء قتل المسلمين للأقباط، وقد أرسل هذا المتطرف رسالة إلى شيخ الأزهر فى مارس ٢٠٠٥م، يتهمه فيها بقيام الأزهر بنشر الكراهية والحقد على مدار ٩٠٠ سنة، وأن من أهدافه «أسلمة العالم كله ولو باستعمال الإرهاب والقتل والرشاوى لتحقيق هذا الهدف»[١].

---

(١) عدلى أبادير يوسف، نقلاً عن موقع: الأقباط متحدون.

وهناك التجمع القبطى الأمريكى، ومنظمة مسيحيى الشرق (مقرها كندا)، وهى منظمة تنصيرية تتلقى تمويلات هائلة للصرف على هذه العمليات القذرة، وقد تم القبض على بعض مسئوليها مؤخراً (٢٠٠٧م) وقد أسندت إليهم تهم تمس الوحدة الوطنية واستقرار الوطن.

وهناك الاتحاد القبطى الأمريكى، والجمعية الوطنية القبطية الأمريكية، التى يترأسها المحامى موريس صادق، الذى كان ملء السمع والبصر على المستوى الإعلامى قبل أن يستدعيه الذين يعمل لحسابهم لنشر الأكاذيب حول من آكلهم وشاربهم وعاش بينهم عزيزاً كريماً.

وهناك منظمة الأقباط الأحرار، والهيئة القبطية الأوروبية، والهيئة القبطية الاسترالية، وأقباط متحدون (انجلترا).. وغيرها.

لقد بلغ الدور المشبوه لهذه المنظمات إلى تصوير مصر على أنها دولة مسيحية، بوضع الصليب على العلم المصرى، بما يؤكد الحقد والكراهية من جانب هذه المنظمات ومن ينتمون إليها على الإسلام والمسلمين، وبما يؤكد عمالة هذه المنظمات ومن ينضوون تحتها لمخابرات الغرب وأجهزة الصهيونية العالمية.

وإزاء هذا التطرف من جانب أقباط المهجر الذين تقدر أعدادهم بالآلاف وتربطهم تنظيمات هرمية حول العالم، وغرضهم المعلن والمخفى هو استرداد مصر من المسلمين.. لم نسمع استنكاراً رسميًا صريحًا من الكنيسة أو من أى مسئول، اللهم إلا انتقادات من جانب بعض الشخصيات القبطية المثقفة غير الراضية عن أوضاع الكنيسة.. والمرات المعدودة التى عوتب فيها البابا من قِبَلِ الإعلاميين، حول تقصير الكنيسة فى منع هؤلاء من نشر أكاذيبهم حول مصر والتحريض عليها، كان يجيب بدبلوماسية واضحة ما معناه: أن الكنيسة لا يمكنها السيطرة على كل أبنائها، وهؤلاء تصلهم أنباء من بلدهم عن اضطهادات تقع على إخوانهم، فمن حقهم أن ينزعجوا لذلك.. وهى إجابات كما يرى القارئ الكريم فيها موافقة وتأييد لما يفعله هؤلاء العنصريون.

●●●

وأخيراً..

مَنْ يُطمْئِنُ مَنْ؟!

مما لا شك فيه أن ليس ثمة أزمة حقيقية بين الإخوان والأقباط، بل هو إجراء مصطنع، صنعه النظام لبث رسالة داخلية مفادها: إما القبول بالواقع المرير؛ بما فيه من فساد واستبداد، وإما القبول بالفتنة الطائفية وما تجره من بلاء. وهذا الإجراء المصطنع يضرب ـ فى الوقت ذاته ـ العملية الديمقراطية فى مقتل، إذ يحلل لهذا النظام الفاسد، شل حركة خصم عنيد، ذى مبادئ؛ هو جماعة الإخوان المسلمين، وإفساد خططهم ووسائلهم الإصلاحية.

ولقد اتسم موقف جماعة الإخوان المسلمين تجاه الأقباط ـ منذ نشأتهم وحتى اليوم ـ بالتسامح والاعتدال، وهو موقف الإسلام ذاته مع غير المسلمين، بما فيه من بر ورحمة وقسط.

وإذا كانت هناك بعض التخوفات من جانب الأقباط، تجاه الإخوان، فقد رد عليها الإخوان، قولاً وعملاً، حتى ما استجد على الساحة من قضايا، صاغ الإخوان فيه اختياراتهم الفقهية بما يناسب الحالة المصرية وبما لا يتعارض مع صحيح الدين.

وإذا كان الإخوان حريصين فى كل مناسبة على طمأنة الأقباط والتواصل معهم، فإنهم فى الوقت ذاته بحاجة إلى أن يطمئنهم الأقباط:

١- فمن حق الإخوان أن يمارسوا دورًا سياسيًا يتناسب مع حجمهم، ملتزمين فيه بمبادئ الديمقراطية، وبما لا يخل بحقوق الآخرين.

٢- وعلى الأقباط أن يقوموا، بإصلاح الأخطاء التى وقعت فيها الكنيسة فى السنوات الأخيرة، بعد أن تبنت مشروعًا طائفيًا يدعو إلى استفزاز مشاعر المسلمين وتحدى السلطة وقوانين الدولة.

٣- وعليهم أن يقوموا بالتصدى ـ الحقيقى ـ لأقباط المهجر، واعتبارهم قلة متطرفة خارجة عن الجماعة القبطية.

٤- وعلى الأقباط ألا يستثنوا أنفسهم، على حساب الجماعة السياسية المصرية، وألا يبالغوا فى مطالبهم، بحيث يبدون متمردين على الواقع، متعالين على باقى المصريين.

٥- وألا يستقووا بالخارج، وألا يلووا ذراع النظام، وألا يتصلوا بالهيئات الخارجية للحصول على استثناءات مدعين أنها حقوقهم.

٦- وأن يكون موقفهم واضحًا وحازمًا بخصوص قضية تنصير المسلمين، إذ هى القشة التى تقصم ظهر البعير والتى تستدعى غضب المسلمين وثورتهم.

فإذا أقر الأقباط بحقوق الإخوان وحقوق إخوانهم المسلمين، لم يبق سوى عدة وسائل تمنع نشوء الفتنة، بل تجعل الطرفين أمة واحدة، قائمة على الحق والقسط:

أ- يجب أن يلتزم الجميع، مسلمين وأقباطًا، بفهم الدين الصحيح، فإن سبب التعصب هو غياب معانى الإيمان.

ب- أن يسعى الطرفان إلى فتح الأبواب المغلقة، وإطلاق الحريات المكبوتة، ولا يمنع طرف الطرف الآخر من الحصول على حقوقه كاملة غير منقوصة.

جـ- أن تجرى تحقيقات سريعة وأمينة حول ما يدور من إشاعات تتعلق بالعلاقة بين الطرفين، بمعرفة جهات قضائية مسئولة ومحايدة.

د- أن يدرك الجميع، أن هناك أيادى، لا عمل لها سوى النبش فى علاقة الطرفين، والتحريض على الوقيعة بينهما... فليكن الجميع على حذر.

●●●